أضواء على

مواسم التنقيب في تدمر

خالد اسعد

ان هذه المدينة العربية التي رفعت مشعل الحضارة اكثر من اربعة قرون، وكانت حلقة التلاقي والاتصال بين الشرق والغرب، والبوتقة التي انصهرت فيها التيارات الفنية والفكرية والحضارية الوافدة مع القوافل الزاخرة بصناعة الشرق والغرب، خلقت فوق ارضها تراثا معماريا فريدا، تمثل معطيات الفنون الوافدة والمحلية، وصنع منها معجزة معمارية تزخر بالروائع واللوحات النادرة، والتي تدل على مدى اسهام العرب في العطاء وتدل على مستوى حضاري رفيع لا تزال اطلاله ناطقة بكل لسان فنا ومعرفة ورخاء. ولعل كلمة تدمر (المدينة العجيبة) لم يأت صدفة، فله من موقعها الفريد، وعظم مبانيها واتساعها وتنوع تراثها، والنكهة الشرقية التي تصبغ مبانيها مايبر ر اطلاقه، وتشعر وانت تجوس خلال مبانيها برائحة العطور والافاويه والبخور تملأ اجواءها الساحرة وسماءها الفيروزية الشفافة، واماسيها الموردة بحمرة الغروب.

هذه الدرة في تاريخ العرب القديم، توليها مديرية الآثاروالمتاحف كل اهتمامها وتساهم مساهمة فعالة في الكشف والتنقيب عن المزيد من آثارها ونشر روائعه، وصيانتها وابرازها للزائرين والدارسين من شتى بقاع العالم.

وتتألف بعثتها الدائمة للتنقيب والدراسة من السادة:

خالد اسعد ـ مديرا

احمد الطه ـ عضوا

علي الطه ـ مساعدا فنيا

قامت خلال السنوات العشر الاخيرة بالتنقيب في عدة مواقع هامة من المدينة اهمها:

الاسوار الدفاعية ـ الشارع الطويل ـ حمامات الملكة زنوبيا ـ اضافة للتنقيب في معبد ارصو. والمشاركة في تنقيبات البعثة البولونية في معسكر ديوقليسيان والبعثة الافرنسية في تل الكوم والبعثة السورية ـ الالمانية في المدفن ٣٦ بوادي القبور. وسوف لا نستطيع في هذه العجلة ان نفصل كل نتائج التنقيب خلال السنوات الثلاثين الماضية والتي ساهمت فيها بعثات وطنية (برئاسة الدكتور عدنان البني وعضوية السادة خالد اسعد ونسيب صليبي وعبيد الطه وعلي الطه) وبعثة سويسرية برئاسة كولار، وبعثة بولونية برئاسة ميخالوفسكي، وقد نشرت نتائج اعمالهم. وحسبنا الآن ان نلقي اضواء على اهم النقاط والمكتشفات فيها في السنوات الاخيرة.

١ ـ التنقيب حول الاسوار الدفاعية:

يحيط بالمدينة الاثرية سور دفاعي يأخذ شكل السلحفاة الشكل (١) طوله (٦) كم ويسور اهم الابنية الرسمية والاسواق والمعابد، بوشر ببنائه خلال

الصورة (١٤) صورة لأحد الدكاكين المحدثة

الصورة (١٥) السور الدفاعي الشمالي

الصورة (١٢) ويبدو فيها المذبح الجصي وعليه تمثال الاله اغليبول وجزء من مذبح من حجر قاسي عليه ازهار وطيور

الصورة (١٣) قطع منحوته محطمة من سور تدمر



الصورة (١١) الرؤوس الجصية الكاملة - حفريات موقع فندق ميريان بتدمر -

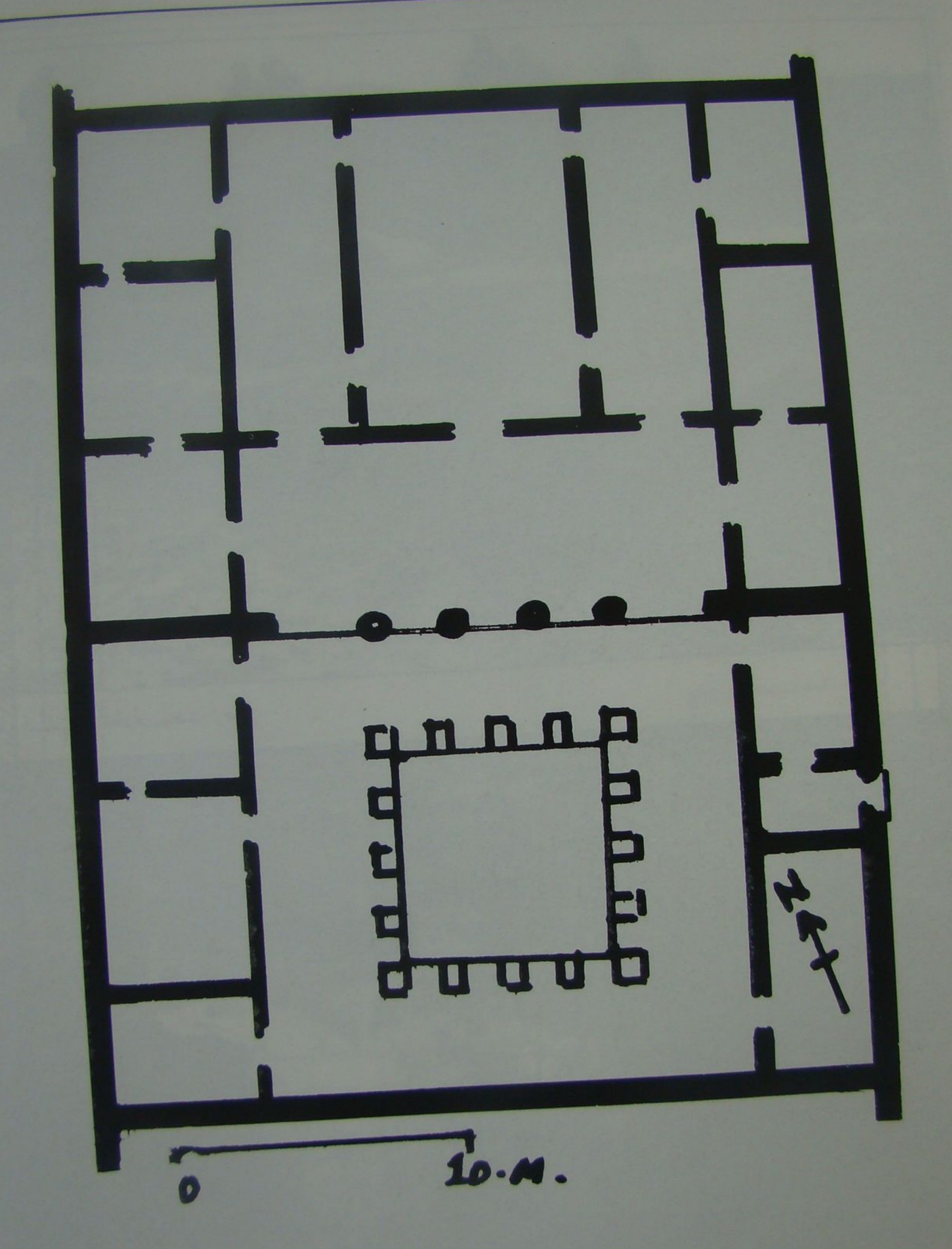


الصورة (١٠) أسد اللات - حفريات الشارع الطويل ١٩٨١ -



الصورة (٨) البيت التدمري شرقي المسرح بتدمر - ١٩٧٣ -

الصورة (٩) التنقيب في الشارع الطويل



الشكل (٧)

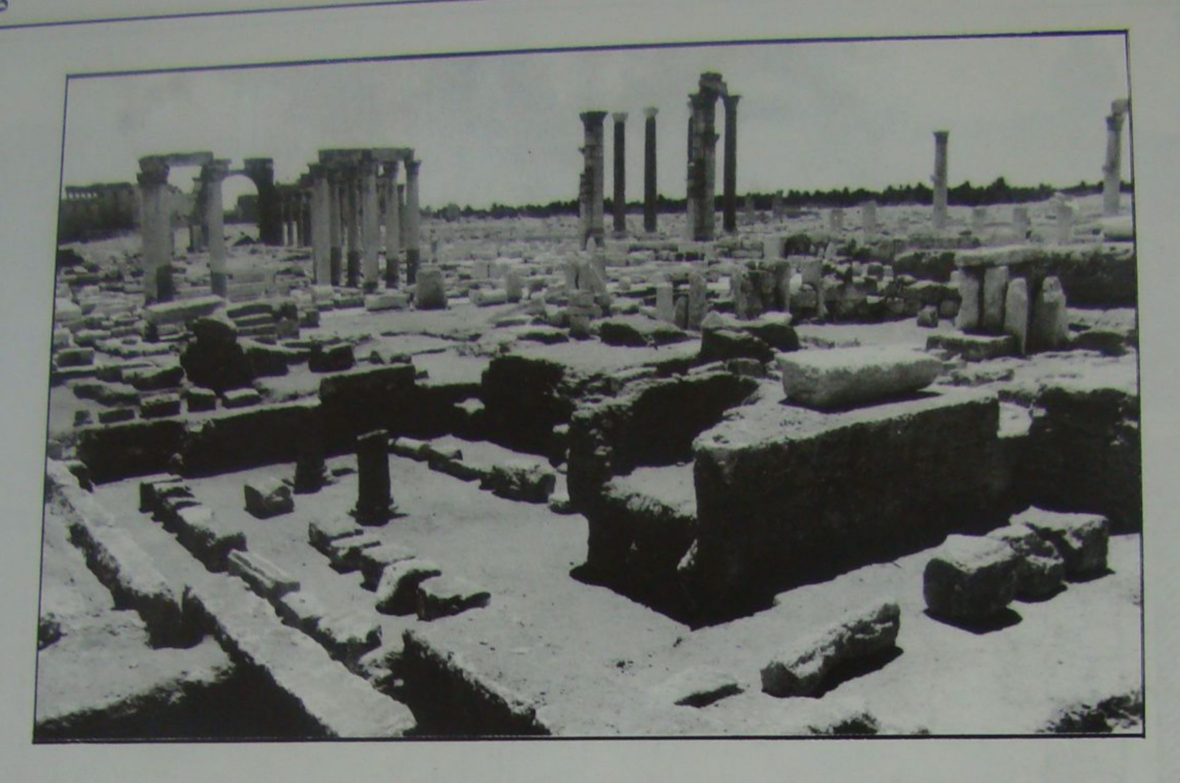


الصورة (٥) اساسات الحرم بمعبد ارصو

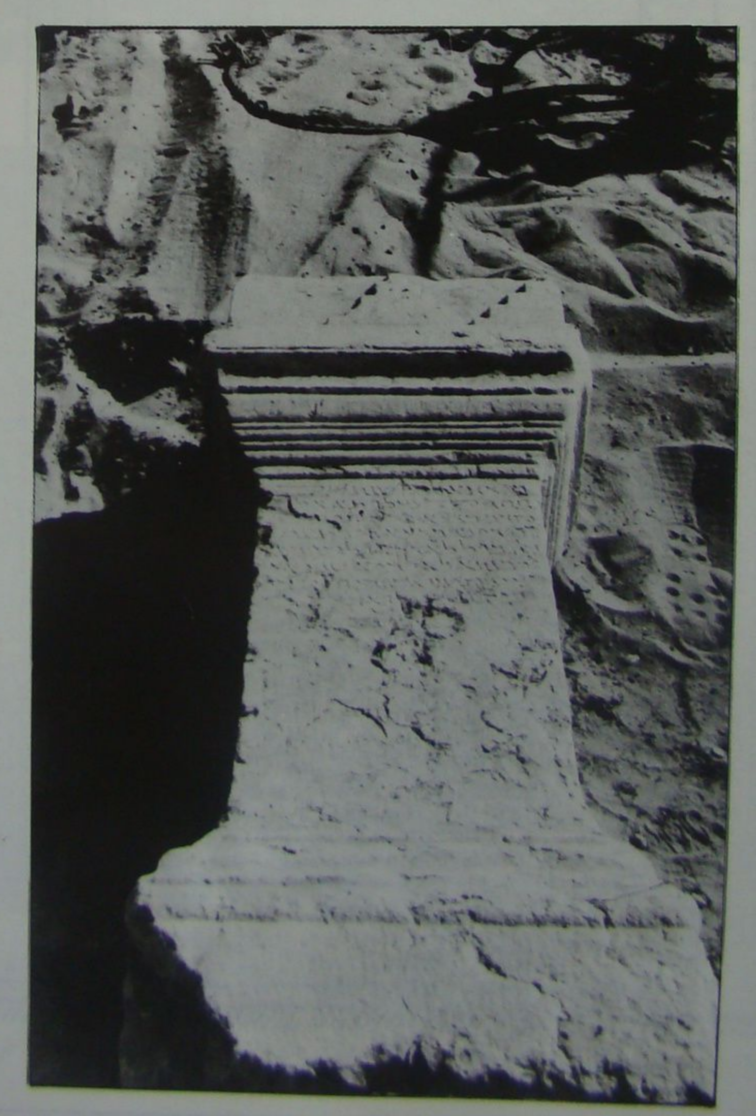
الصورة (٦) تاج عمود من معبد ارصو وهو نموذج فريد في تدمر من الطراز الكورنثي

مديرية آثار تدمر
مخطط
معبد أرصو بتدمر
الرموز
الأجزاء الباقية من الأساسات
الأجزاء المفقودة من الجدران
الأجزاء العلوية الباقية من الجدران
حدود التنقيب لموسم ١٩٨٠
وضع ورسم: المساعد الفني: علي الطه
0 1 2 5.M.
N

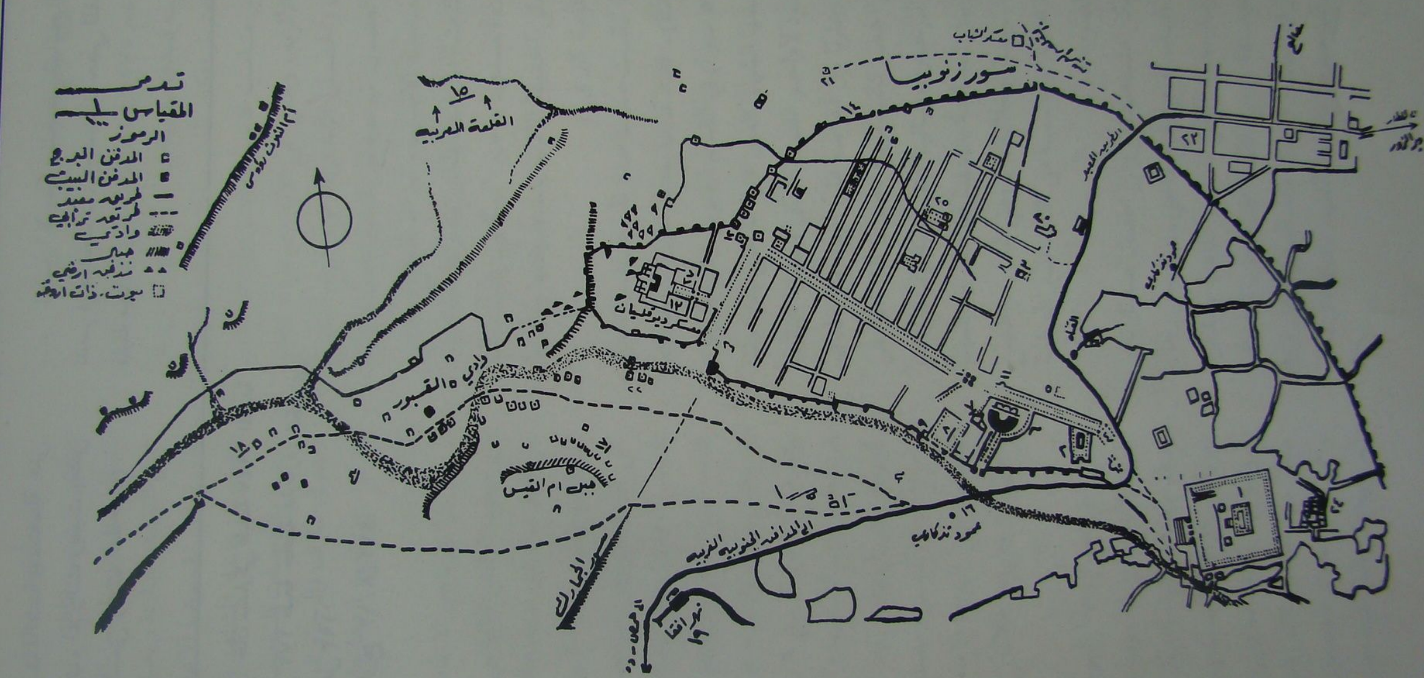
الشكل (٤)



الصورة (٢)
مدخل الحمامات والأعمدة الغرانيتية



الصورة (٣) مذبح معبد ارصو



١ – معبد بـل ٢ – معبد نبو ٣ – معبد بعلشمين ٤ – قوس النصر ٥ – الحمامات ٦ – المسرح ٧ – مجلس الشيوخ ٨ – الميـدان ٩ – صالة الموائـد
١٠ – الصلبـة ١١ – حوض عرائس الماء ١٢ – هيكل الموتى ١٣ – معسكر ديوقلسيان ١٤ – سور زنوبيا ١٥ – القلعة العربية ١٦ – عمود تذكاري ١٧ – مدفن جامبليك
١٨ – مدفن ايلابل ١٩ – نبع افقـا ٢٠ – فندق زنوبيا ٢١ – مدفن مارونا ٢٢ – مدفن عيلمي بن زبيدا ٢٣ – المتحف ٢٤ – بيت ٢٥ – البازيليكه
٢٦ – الساحة البيضوية ٢٧ – هيكل اللات

الشكل (١)

الجـاري من النبـع وبقيت قائمــة ومستعملة حتى الاربعينـات من هذا القرن، ثم زالت وبقيت بعض الجدران قائمة في الموقع المسمى (تحت الطاحون).

اخـيرا لا يمكن تلخيص نتـائج التنقيب في تدمـر في صفحـات، وحسبنا ان نعطي للقارىء لمحا قليلة منها.

المراجع

١ ـ تدمـر عروس الصحـراء. جان ستـاركي طبعـة ١٩٤٧ المقدمة

٢ ـ الأبنية. بروكوبيوس ص ١٧٧ طبعة جامعة هارفارد. انكليزي

٣ ـ الأغاني للأصفهاني مجلد ص ١٩٣

٤ ـ تقريرنا رقم ١٤٨/ص تاريخ ١٢/٨/٩٧٦

٦ ـ التنقيب في موقع فندق ميرديان :

في اواخر عام ١٩٧٥ قمنا بالتنقيب في الموقع الذي سيقام عليه فندق ميرديان تدمر، ولن نناقش هنا موضوع اختيار المكان الذي يشكل من وجهة نظرنا مكانا غير مناسب اذ سوف يغمر جزءا هاما من الحديقة الأثرية، ويخفي الى الابد اهم موقع لمطالع الاستيطان والحضارة التدمرية حول النبع المقدس منذ اقدم العصور، ثم سيغلق بكتلته الجديدة الأفق الغربي للمدينة الاثرية، ثم ان الموقع معرض للأبخرة المنبعثة من المياه الكبريتية والمعدنية حيث تتلف اثاث الفندق، واخيرا سيكون بادرة سيئة بالتجاوز على الحديقة الاثرية بدل صيانتها والحفاظ عليها ثروة قومية كبرى.

ولما كانت مساحة المنطقة حوالي (٦ هكتارات)، فقد قمنا بحفر اسبار استكشافية عددها (٥٥ سبرا) في القسم الجنوبي وكشفنا اجزاء هامة من قسمها الشمالي الذي عثرنا به على بقايا بيت تدمري يعود لأواخر القرن الثاني وبداية الثالث الميلادي، وعثرنا بين انقاضه على اجزاء من اطناف وافاريز من الجص كانت تزين الجدران الداخلية من الغرف، والزخارف نباتية وهندسية بينها تويجات ورؤوس تماثيل انسانية بعضها عارية، وبعضها لأشكال حيوانية اوملائكة، وهي تمثل مواضيع اسطورية محلية اومقتبسة من الاساطير العالمية الشائعة (الصورة ١١).

ويمكن مشاهدة رؤوس اطفال صغار تعبر بملامحها الباسمة عن فرح داخلي، ورؤوس رجال تلمح الوقار مقروءا على الوجوه الملتحية والشعور الكثة المجعدة، وهي كلها اجزاء من الاطناف والافاريز في البيت. صنعت بالقالب وتشكل ثروة هامة من الزخارف الجصية القليلة والنادرة في تدمر حتى اليوم.

وان تأملها يبعث في النفس شتى الاحاسيس، فبعض الوجوه ناطق رغم الصمت، متحرك رغم السكون، ضاحك من الاعماق، تتجمد الابتسامة على الشفاه الباردة، بعد ان جف نبض الحياة في العروق، تغمرها الاغصان الحانية والازاهير المتفتحة، فتنقل المشاهد الى حدائق من روائع الفن الغنية باللوحات الناطقة والدالة على الفن الرفيع والذوق المترف والرخاء الواسع الذي وصلته عاصمة البادية في اوج ازدهارها الاقتصادي والاجتماعي والعمراني.

كما عثرنا بين الانقاض على عدة مذابح نذرية من حجر الكلس القاسي، واغلب الظن أنها نقلت من المعبد الذي اقامه التدمريون عند مخرج النبع المقدس (نبع افقا) تكريما وشكرا لاله النبع (المبارك الى الأبد الرحمن الرحيم الطيب) كما تقول الكتابة التدمرية عليها، وهي الكتابات المألوفة في التقدمات لاله النبع المقدس ليديم عليهم نعمة المياه. واهمها المسجل برقم (٦) في سجل الحفرية المرفق بتقريرنا رقم ٦٨٢/ص تاريخ ١٩٧٥/١٢/٦ وهو مصنوع من الجص (بالقالب) والأول من نوعه في تدمر له كورنيش من البيوض (رمز التجدد والتوالد) والاسنان (رمز لأشعة الشمس) مصدر الحياة واوراق الغار (رمز النصر) على الوجه الامامي تمثال نصفي لاله القمر (اغليبول) ووراءه الهلال. الصورة (١٢).

ورغم ان هذا البيت يختلف في مخططه عن البيت التدمري المألوف ذو الباحة المعمدة الا اننا نعتقد بأنه هدم اثناء حصار المدينة من قبل الرومان في خريف (٢٧٣ م) بسبب موقعه خارج الاسوار الدفاعية. ونعرف من سويات السكنى فيه، انه سكن مرة ثانية خلال القرن السادس الميلادي. واهمل تماما خلال العصور الوسيطة عندما اقيمت بجواره على الساقية مطحنة تعمل بواسطة الماء

كتابات تكريم من عشيرتي زيد بول وبني معزين على كثير من حوامل الاعمدة في القسم الغربي من الشارع الطويل. والمتعارف عليه ان الشخص او العشيرة يتبرع ببناء قسم من الرواق كاملا مقابل استخدام الحوامل لوضع تمثال المحسن وكتابة التقدمة، كما يفعل المحسنون اليوم عند بناء المستشفيات أو المساجد والكنائس أو المساهمة في بنائها.

اما الاسماء فهي عربية (فبثين) تصغير بثينه، ومقينا مشتقة من مَقْني = مَلَك يَمْلك ومالك اسم معروف. وعناني او عنادي من كلمة عنود، وسوادا اسم مشتق من السواد ومنه الاسماء المتداولة حتى اليوم: سوّيد سويدان، سوده، سويداني وهناك احتمال ان تكون اشتقاق من كلمة سيّد = سوادا بالتدمرية. وايلابل الاسرة التدمرية المشهورة والكلمة مركبة من اله +بل = الاله بل.

وكلمة (برعته) وهي مألوفة في تدمر وتعني: ابن المعطي او الواهب = عطية الله اوهبة الله. ومع ذلك فهي تدلنا ان هذا الجزء من الشارع اقيم في بداية القرن الثالث الميلادي، وان الشارع اقيم على مراحل استغرقت اكثر من مائتي عام من عمر المدينة حتى سقوطها عام ٢٧٣ م (انظر الصورة ٩).

وقد عثرنا على العديد من التماثيل والزخارف المحطمة، ولكن اهمها اللوحة التي حطمت واعيد بناء اجزائها في عتبة البوابة امام الدكان (٣٦) من الرواق الجنوبي على المخطط المرفق انظر (الصورة ١٠). وقد استطعنا ترميمها فتبين لنا انها صورة مصغرة لأسد اللات الذي كشفناه مع البعثة البولونية عام ١٩٧٧ في معبد الربة المذكورة، ورمم واعيد بناؤه امام مدخل المتحف الوطني بتدمر، اللوحة من حجر الكلس الطري مقاييسها (٨٠×٣٣ سم) وتمثل اسد الربة اللات، ويرى من الامام مستندا على يديه القائمتين، شامخ الرأس، فاغر الفم، متحفزا يقظا، عيناه الواسعتان ترمقان افواج المتعبدين والطائفين والزائرين واللاجئين الى رحاب الربة وحماها، تلمع عيناه بثقة المقتدر الذي يوحي بالطمأنينة والسكينة الى قلوب المؤمنين والخائفين، ويمسك بين يديه كبشا يبدو أليفاً مطمئنا بين يديه القويتين.

ان اللوحة تجسيد حي لمعاني القوة المرعبة المسخرة لردع المعتدين، فالكبش يجلس بسلام وحنان بين انياب اسد مرعب يوحي للناس بأن يكونوا مطمئنين سالمين داخل المعبد، لايجوز الاعتداء على احد او المساس بكرامته اوسفك دمه، لأن ذلك يغضب الربة ويوجب انتقامها، فمن دخل معبدنا فهو آمن.

انه تقليد ديني واجتماعي يحد من طغيان الاقوياء ويفرض عليهم احترام الناس حتى الاعداء في اماكن العبادة الايام والاشهر الحُرم. هذه اللوحة من اهم اللوحات المكتشفة عام ١٩٨١ وهي من منجزات القرن الاول ق. م خطوطها واضحة وبسيطة، تبرز اصالة الفنان التدمري وواقعيته، وهي شرقية المعنى والمبنى وتدل على معنى بعض التقاليد الدينية التي تمسكت بها المجتمعات العربية لحماية اللاجئين والضيوف ووجوب ايصالهم حتى مأمنهم وهذه التقاليد تراعيها العشائر البدوية حتى اليوم في حماية المستجير والدفاع عنه اليست الحقوق الممنوحة اليوم للاجئين السياسيين بين الدول استمرار لهذا العرف العربي القديم؟

وخلال موسم التنقيب عام ١٩٨٢ عثرنا على اجزاء من لوحة ثانية حطمت واعيد استعمالها في البناء المحدث ونأمل ان نعثر على كامل اقسامها، وهما بدون شك منقولتان من معبد الربة اللات القريب، وكانا في باحة المعبد المذكور او في محاريب على جانبي المدخل.

القديم، مستخدمة عناصره المعمارية وعناصر اخرى مجلوبة من الابنية المجاورة، وجدير بالذكر ان عرض الشارع (٢٧ م) منها (١١ م) قارعة الطريق، ثم رواقان مسقوفان عرض كل منهما (٨ م) في داخلهما تفتح المحلات التجارية.

يبلغ طول القسم المنقب من الشارع منذ عام ١٩٧٧ - ١٩٨٣ (٣٠٠ م) وعرضه (٣٠ م) مع العلم ان القسم الغربي من الشارع الطويل ينحرف عن محور القسم الاول المنتهي بساحة المصلبة (١٠ درجات) وجاءت ساحة المصلبة، والمصلبة وزخارفها لتغطي هذا الانحراف، ولتبدأ مشهدا جديدا امام السائر في رحاب الشارع، وتنقله الى قسم مختلف يتشوق ان يراه حتى نهايته والاطلاع على مافيه.

ويلاحظ ان الذين اقاموا السوق المحدثة في العهد الايوبي، قد زرعوا بعض قواعد الاعمدة في الرواقين واقاموا سوقا من صف واحد، تفتح ابوابه الى الرواق الشمالي، والمحلات التجارية غرف منتظمة متلاصقة ابعادها متساوية تقريبا (٦٤٠×٢٧٥ سم).

وحاولوا احيانا اقامة رواق محدث امام ابواب الدكاكين، محاكين طراز بناء السوق القديم وعثرنا على كثير من فقرات الاعمدة والسقفيات والافاريز والتيجان المنهارة من بناء الشارع وقد استخدمت في البناء المحدث. كما ان عدة مداميك من جدران الدكاكين تتألف من احجار كلسية طرية (كذان) منتزعة على الغالب من الجدار الخلفي للمسرح وممراته الشمالية التي كانت معقودة به اصلا، كما تشاهد بقاياها في اماكنها في المسرح.

لقد اقيم حي كامل - على مايبدو - زمن الايوبيين في هذا القسم وحوله، فالى الجنوب من المصلبة، وجدنا مسجدا محدثا فوق معبد اقدم، وقد استفادوا من مرور ساقية القناة بجواره لاحداث مدخل الى الساقية تحت الرواق الجنوبي وجعله متوضأ ومنهلا للشاربين. والى الجنوب والشرق امام الميدان وفوق القسم الحار بالحمامات عثرنا على منشأتين صناعيتين من هذه الفترة، فرن لصنع الزجاج بطريقة النفخ امام الميدان، ومعصرة للزيت في الحمامات لقد اصاب المدينة ازدهار ونشاط عمراني وصناعي، فالى هذه الفترة (القرن ١١ - ١٤ م)

تعود الابنية المحدثة في معبد بل وجامع الفضل والقلعة المنسوبة الى فخر الدين والسوق المحدثة موضوع البحث. وقد نقبنا منها حتى غاية موسم ١٩٨٢ (٣٦ دكاناً) (الشكل ١٤) كما عثرنا بين الانقاض على كسر زجاجية وخزفية وفخارية تعود الى هذه الفترة. كما عثرنا على العديد من فقرات الاعمدة المنهارة من اروقة الشارع، وسواكف الدكاكين على بعضها كتابات تذكارية واهمها الكتابة التدمرية على حاملة تمثال اكتشفت عام ٩٨١ وهذا نصها: (تمثال بثين ابنة مقينا بن مالك بن عناني زوجة سوادا بن ايلابل بن مالك بن برعته اقامة له بنومتى على شرفة بشهر تشرين الثاني سنة ٥١٦) = ٢٠٤ م والكتابة الثانية تدمرية على حاملة تمثال وتذكر: (تمثال سوادا بن ايلابل بن مالك ابن اقيمات من بني متى بول على شرفه بشهر ايلول سنة ٥١٢) = ٢٠٠ م. اضافة للعديد من الكتابات الاخرى المكتشفة سننشرها في مقال خاص. ونلاحظ ان عمودين من اعمدة الرواق الجنوبي قد خصصا لرفع تمثالين لسوادا وزوجته بثين، وقد اقيما على شرفهما من قبل عشيرة بني متى بول، وهي اقدم عشيرة معروفة لدينا في تدمر حتى الآن. ويلاحظ ان التقديم كان من العشيرة وبأمرها بينما المألوف ان التماثيل في الشارع الطويل ترفع على الحوامل بأمر من مجلس الشيوخ والشعب على الغالب وهذا يؤكد ان الاروقة موزعة حسب العشائر التي تبنيها ولمجلس الشيوخ الافضلية في تكريم المستحقين، فقد وجدنا

والاله ارصو: اله عربي يرمز له بنجمة الصباح. وهو من ارباب القوافل والجماله والرعاة، ويشاهد ممتطيا جملا ويمسك رمحا وترسا في اغلب المنحوتات المعروفة حتى اليوم ومنها اللوحة رقم (١٢٣٣) المعروضة في الرواق الغربي بمتحف تدمر، ولوحة جبل المراه ولوحة دورا اوروبوس، ولوحة ارصو ـ اللات المكتشفة في معبد اللات والمحفوظة بمتحف تدمر، واللوحة المحفوظة بمتحف حلب مؤرخة عام ٢١٣ م، ويشاهد مع شريكه عزيزو الاول يمتطي جملا والثاني يركب حصانا (انظر المخطط المرفق ٤ والصورة رقم ٥و٦).

٤ ـ البيت التدمري شرقي المسرح:

خلال عام ١٩٧٣ قمنا بكشف وترميم البيت التدمري الواقع شرقي المسرح، لقربه من قلب المدينة وامكانية زيارته، يدخل اليه من الرواق الشرقي لساحة المسرح، مع العلم انه ليس منقبا في المدينة الاثرية غير بيتين.

الاول: المعروف باسم منقبه (بيت غبر ييل) الواقع في الحي الشمالي الغربي المنقب عام ١٩٢٦

والثاني: (بيت دورو) الواقع شرقي معبد بل المنقب عام ١٩٤٠.

يتألف البيت التدمري عموما من ثلاثة مداخل يؤدي الى بهومنه الى رواق معمد ويحيط بباحة سماوية، وتفتح ابواب الغرف الى البهو بالرواق، والبيوت على الغالب مجهزة بآبار للمياه تكون في زاوية الباحة، وفوق الابواب الخارجية والداخلية نجد الجوائز والسقفيات المنقوشة والجبهة المثلثة وعلى الاعمدة تيجان كورنثية، وقد فرشت ارض الغرف والباحة والاروقة بالحجارة المنحوتة المغطاة ـ على الاغلب ـ بالواح الفسيفساء كما وجد في بيت دورو.

والبيت المنقب لايختلف شكلا وزخرفة عن البيوت التدمرية، فمناخ البادية القاسي والجاف وتفاوت المدى الحراري حوالي ١٥ درجة بين الليل والنهار والصيف والشتاء فرضت مخطط المسكن وانغلاقه من الخارج، وانفتاحه على الاروقة والباحة الداخلية، اشبه بمظلة واقية تقي الانسان حرارة الصيف وبرودة الشتاء، انها اقرب الى منازل العشيرة وخيامها المتلاصقة المغلقة المتحلقة حول باحة متوسطة تحيط بها اعمدة تشبه اعمدة الخيام، ولعل تأثيرات الاصول البدوية خلقت هذا النوع من المنازل، يقرب الصورة من خيال البدوي المتحضر. وضرورات المناخ والحياةاليومية ومستلزماتها، وذوق الانسان العربي الذي يمتاز بسرعة التكيف مع عدم تناسي الذكريات.

تبلغ مساحة البيت المنقب (٣٤×٣٠ م) له ثلاثة مداخل وبهويؤدي الى باحة مروقة ابعادها (١٨×١٥,٥ م) يتوسطها باحة مربعة عرضها (٩٤٠ سم) يحيط بها (١٦ عمودا) ارضها مفروشة ببلاطات من الحجر المنحوت، وفي البيت خمس عشرة غرفة مختلفة الاطوال، انظر (المخطط ٧ الصورة ٨).

٥ ـ حفريات الشارع الطويل:

تستمر اعمال التنقيب في الشارع الطويل منذ عام ١٩٦١ وتضم الشارع الطويل والمنشآت التي حوله، ونتابع حاليا الكشف في الشارع من بداية ساحة المصلبة غربا حتى نصل الى بوابة دمشق المطلة على وادي القبور، ولابد من التنويه بأن هذا القسم ـ غربي المصلبة ـ مغمور بالرمال والانقاض حتى ارتفاع (٢ م) ثم ان كثيراً من عناصره المعمارية اعيد بناؤ ها في منشأة ايوبية ـ مملوكية اقيمت في قارعة الطريق، محدثة سوقا جديدا فوق انقاض السوق

عدنان البني معبد نبو ـ ملحق الاغورا ـ شارع بعلشمين ـ ساحة المسرح ـ القسم الممتد من قبالة معبد بل ـ المصلبة من الشارع الطويل. وتابعت البعثة الوطنية بعدها برئاسة السيد خالد اسعد التنقيب منذ عام ١٩٦٩ في المواقع التالية: الاسوار ـ الحمامات ـ معبد ارصو ـ البيت التدمري ـ شرقي المسرح ـ الشارع الطويل ـ موقع فندق ميرديان، وسوف نلخص بايجاز شديد نتائج هذه التنقيبات واهم نتائجها:

١ ـ الحمامات: وتسمى حمامات الملكة زنوبيا، وقد باشرنا التنقيب فيها منذ عام ١٩٧١ حتى عام ١٩٧٧، ويتألف من مدخل واسع (ثلاث بوابات) تطل على الرواق الشمالي بالشارع الطويل قرب قوس النصر، تتقدمه واجهة ذات اربعة اعمدة غرانيتية تشكل مع قوسين جانبيين باحة خارجية لمدخل الحمامات تشكل مساحة الرواق الشمالي امامه (الشكل ٢) وتتألف الحمامات من قاعدة مثمنة وباحات مبلطة تؤدي الى الاقسام الثلاثية فيه: البارد ـ الدافىء ـ الحار ـ والمراحيض، وتبلغ مقاييسه (٥١×٨٥ م) (قسم المراحيض ١٤×١٠ م) وله باب يؤدي الى الحمامات وباب خارجي[٤] (راجع تقريرنا رقم ٣٤٨/ص تاريخ ١٢/٨/١٩٧٦).

ومع ان حمامات زنوبيا تبدو صغيرة اذا ماقورنت بحمام الاسكيلان في روما الذي اقامه تراجان في النصف الاول من القرن الثاني الميلادي في موقع البيت الذهبي لنيرون وتبلغ مساحته الخارجية (٣٤٠×٣٣٠ م) الا ان التقسيمات متماثلة. اما حمام مدينة بومبي، فيشبه الحمامات التدمرية، الا انه يحوي قسما خاصا للنساء له مدخل منفصل، بينما قسم التعريق، ورغم ان المنشأة الايوبية التي اقيمت فوق جزء من القسم الحار (معاصر للزيتون) قد هدمت القميم (الهيبوكوست) ولكنها سببت ايضا في نزع البلاط الرخامي من هذا القسم واعادة تركيبه في احواض وممرات المنشأة الاسلامية الجديدة. والحمام مجهز بقناة تحت البلاط تغذي اقسام الحمام، وتملأ احواض التسخين، وحوض القسم البارد وتنساب ماء حارا او بخارا في القساطل الفخارية الموزعة في القسم الدافىء والحار وغرف التعريق.

ان هذه الآبدة الجميلة، كانت واحة في قلب الواحة، يجد المسافر في اقسامها الراحة الجسدية بعد عناء السفر الشاق والطويل. وتدل على المستوى الحضاري الذي بلغته عاصمة البادية خلال عصور الازدهار، وعثرنا بين انقاضه على اجزاء من تماثيل رخامية (لسبتيم سيفير، فينوس) كانت تزين محاريبه وباحته الداخلية.

٣ ـ معبد ارصو:

عثرنا صدفة خلال كانون الاول ١٩٧٩ على مذبح على الضفة اليمنى لوادي القبور امام الميدان. والمذبح من الحجر الكلس القاسي مزين بشراريف، مقاييسه (١٢٥×٤٨×٣٣ سم) سجل برقم ١٤٧١/آ/٨٨٣٤ عليه ثمانية اسطر تدمرية الشكل (٣) تذكر أن (برعه بن مقيمو من بني متى) قد قدم هذا المذبح (للاله ارصو والآلهة الطيبين من اجل الشكر) ومؤرخ (بشهر ايلول عام ٦٣ م) وقد نوهت كثير من النصوص بوجود معبد للاله ارصو في تدمر ولكنه غير معروف ومنها الكتابة المؤرخة عام ١٣٢ م والمكتشفة في معبد بعلشمين (راجع دونان ج٣ ص ٢٨ الكتابة ٤٥) فقادتنا هذه الصدفة لاكتشافه في موسم للتنقيب امتد خلال اشهر ك ٢ وشباط وآذار ١٩٨٠. وقد استطعنا ان نكشف بقايا الحرم في المعبد المذكور ومقاييسه (٢٠×١٢ م) ويلحق به بعض الغرف للكهنة (انظر المخطط المرفق ٤). وعثر في احدها على مجموعة هامة من البطاقات الفخارية المستخدمة للدخول للولائم الدينية، ويبدو عليها الاله ارصو يقود جمله.

دعم البناء اما المواضع الصخرية فقد اقيم السور فوقها مباشرة بدون كورنيش. وعلى السور سبعة ابواب رئيسية تحف بكل منها ابراج دفاعية، اثنان منها على الجدار الجنوبي الغربي (باب دمشق، باب المسرح) والابواب الاخرى على الجانب الشرقي والشمالي وقد كشفنا احدها امام مدفن مارونا في القسم الشمالي، له عضادتان مفروزتان ارتفاع كل منهما (٧٠٠ سم) مدعم ببرجين مربعين، عرضه (٣٥٠ سم) ويؤدي الى شارع فرعي يتصل بالشارع الطويل.

كما لابد لنا من التساؤل هل كان الجزء الغربي من السور في موضعه الحالي؟ وكيف سمح التدمريون ان تكون مدافنهم الجميلة من نوع (المدافن البيوت) جزءا من السور؟ وهي بيوت الابدية وحقل التفاخر في الحياة الدنيا والآخرة؟.

وان السور بجوار هيكل الموتى لايرتبط ببعضه في نقطة اتصاله به. ونجد بينهما حدا واضحا، ثم ان هذا الجزء الممتد من البرج (٢١) حتى هيكل الموتى استفيد من المدافن البيوت بابراز جزء منها بمثابة برج، ولكن لا نجد اتصالاً وتشابكاً معمارياً بين عناصر السور وجدران المدافن، مما يدل على انها اقدم منه في الموقع واغلب هذه المدافن يعود لنهاية القرن الثاني وبداية الثالث بعد الميلاد، ونعتقد ان السور الشمالي كان مستقيما بعد البرج (٢١) باتجاه الغرب، ثم ينحرف قليلا ليلتقي بالسور الهابط من جبل الحصينيات المحيط بمعبد اللات واطلال القصر الملكي اومايسمى الآن معسكر ديوقليسيان، وفي مرحلة قادمةٍ سوف نتأكد على الطبيعة عندما نكشف هذه المنطقة الواقعة على بعد (١٠٠ - ٢٠٠ م) غربي هذا القسم من السور.

وقد هدم قسم واسع منه اثناء المنازعات بين قيس ويمن في عهد الخليفة الاموي مروان الثاني عام ٧٤٥ م والى ذلك يشير الشاعر بشار بن برد حين قال:

وقد كانت بتدمر خيل قيس
فكان لتدمر فيها دمار[٣]

ولم يرمم منذئذ حتى عام ١٩٧٠ حين باشرنا بكشفه وترميمه، اذ ان القلة الباقية من السكان التجأت في العهد الاتابكي والعثماني الى ساحة معبد بل وبعلشمين والابنية المسورة وملحقه والقلعة.

ولا بد من ذكر بعض المكتشفات اثناء التنقيب وهي بالمئات وحسبنا ان نأتي على اهمها: الكتابة رقم (١٩٧٨/٤٦) ومؤرخة عام ٩٨ م تذكر اقامة مدفن لشمس بن تيما، والمذبح المنقول من جوار النبع المقدس (افقا) والمؤرخ عام ١٦٢ م، واللوحة المسجلة برقم (١٩٧٨/٤٨) وتشير الى اختيار كاهن للربة عشتار والرب بعلشمين مؤرخة عام ٨٨ م. والتاج المنتزع من معبد اللات القريب، وعشرات الاجزاء من السرر الجنائزية المحطمة ومئات الافاريز والكرانيش، واللوحة المسجلة برقم (٨٤١٢/٢٢٩١) وتمثل الملائكة المجنحة ترفع بأيديها صور المتوفين رمزا لانطلاق الروح من الجسد وعودتها الى الخلود والحرية ورأس الشاب المحارب المسجل برقم (١٩٨٠/٢) والكتابة رقم (٦ و ١٩٨٠/٣١) وبها اسماء عتيبل وسلمان وروما وتيم عمر وواجهة السرير الجنائزي المسجلة برقم ١٩٨٠/٣٢.

ان عملنا هنا له عدة اهداف: كشف السور وابرازه كمعلم من معالم المدينة الأثرية، وابراز ريازته واساليب الدفاعات التدمرية، ثم خلق حاجز مادي يحمي قلب المدينة الأثرية. واخيرا ايجاد مشوقات معمارية جديدة تساهم في اكمال لوحة المدينة الخالدة. الصورة (١٥)

٢ - التنقيب في الشارع الطويل:

خلال مواسم المشروع الانمائي التدمري بين ٩٦٣ - ١٩٦٨ كشفت البعثة الوطنية برئاسة الدكتور

القرن الاول الميلادي ، واخذ شكله النهائي خلال عهد الملكين اذينة وزنوبيا .

اذ اننا نعرف من غزوة انطونيو عام (٤١ ق م) لنهب المدينة ، وهرب اهلها امامه ، انه لم يكن لها اسوار يحتمون فيها[1] . وحفزتهم هذه الهجمة على تحصين مدينتهم ضد الغزاة . ونشاهد لها الآن سورا آخر يسمى سور الجمارك ، لاتزال اجزاء منه قائمة على سفح جبل المنطار ، وقد بني من الحجر الغشيم واللبن وهو اوسع من الاول ، له شكل مستطيل تقريبا ، محيطه حوالي (٢٠ كم) ويضم المدينة الاثرية والبساتين ومعظم اقسام بيوت المدينة الحديثة ، ويمكن متابعة مساره وبقايا اسسه في البساتين .

ان الاسوار الدفاعية للمدينة بنيت بأحجار من الكلس القاسي المجلو والمنحوت بمقاييس تتراوح بين (١٠٠ - ٢٥٠ سم) وارتفاع (٧٥ - ١٢٠ سم) ويبلغ عرضه (٣٠٠ سم) لم يبق منه الا مدماك او مدماكان . ويلاحظ ان الوجه المنحوت هو الخارجي ، بينما نجد الداخلي مؤلف من مداميك اقل حجما . وقد ثبتت المداميك بالجص والقصرمل وملئت الحشوة بالحجر الصغير المغموس بالجص والقصرمل . وقد اقيم على ارضية صلبة في الجزء الشرقي ، وعلى المهد الصخري في القسم الغربي الذي يرقى السفح الشرقي من منحدر جبل الحصينيات .

والسور مدعم بأبراج دفاعية مربعة الشكل صماء ابعادها (٤٦٥×٢٤٠ سم) والمسافة بين كل برجين (٣٥ م) تقريبا ، ونعتقد انه كان في اعلاها محرس مجهز بمرامي للنبال ويشير الى ذلك بقايا الواح القرميد المكتشفة بين الانقاض بجوار الابراج المربعة على السور الشمالي .

واستطعنا خلال المواسم الممتدة من عام ١٩٧٠ - ١٩٨٣ كشف (١٥٠٠م) من السور الشمالي من نقطة تمتد من جوار المتحف الى معسكر ديوقليسيان ، و(٣٠٠ م) من السور الجنوبي المقابل للمعسكر . انظر المخطط المرفق ١ .

وقد تهدمت اجزاء من السور اثناء الحروب الفاصلة بين زنوبيا واورليان عام ٢٧٣ م . واعيد ترميم الاسوار في عهد ديوقليسيان اواخر القرن الثالث الميلادي لاغراض عسكرية ، ثم رمم ودعم في عهد جوستنيان خلال النصف الاول من القرن السادس الميلادي ، واضيف اليه ابراج نصف مستديرة بين كل ثلاثة ابراج مربعة[2] والبرج الجديد مفرغ ابعاده ١١×٩ م مجهز من الداخل بغرفة ابعادها ٦×٤ م ، له درج حجري عرضه ٧٠ سم يصعد الى مرامي النبال واعلى السور ، وينتهي بسقف قرميدي وجدنا كميات منه في البرج المستدير رقم (١٢ على المخطط) والمنقب عام ١٩٧٨ (تقرير الحفريات رقم ٢٥٦/ص تاريخ ١٩٧٨/٥/١٥) وكذلك البرج المستدير المجاور لحديقة المتحف الذي نقبناه عام ١٩٦٢ .

والملاحظ ان اعادة بناء السور خلال عهد جوستنيان (الغساني - البيزنطي) تختلف عناصره المعمارية المستخدمة في البناء عن العناصر السابقة ، فقد نقلت انقاض المباني المتهدمة من المدينة الاثرية وتماثيلها ولوحاتها وزخارفها واعيد بناؤ ها في الابراج الجديدة ولملء الثغرات المنهارة والحشوات الداخلية . فقد عثرنا على مئات القطع المنحوتة والمكتوبة المهشمة قصدا واستخدامها حشوات في جسم السور وبين مداميكه ، دون مراعاة لجمالها الفني او قيمتها التاريخية والاثرية ، فكم من لوحة مكتوبة ، او تمثالاً جميلاً ، او افريز محلى بالزخارف قد هشمته يد البنّاء ليتلاءم في وضعه الجديد مغموسا بالجص كأي حجر مرذول؟ انظر (الشكل ١٣) .

كما لاحظنا ان للسور كورنيشا سفليا عرضه ١٥ سم يساعد في تقوية البناء بصورة عامة وذلك في المواضع المحيطة بالبساتين لزيادة المتانة والمساعدة في